سياسية ▪ إسبوعية ▪ مستقلة
تصدر عن مركز الكرامة الإعلامي
العدد (٢) ٢٠١٢/٩/١٧

الإبراهيمي في دمشق .. مهمة مستحيلة

علي الشيخ منصور

حين اعترف الأخضر الإبراهيمي في حديثه لهيئة الإذاعة البريطانية بان «مهمته شبه مستحيلة» في التوصل الى تسوية سلمية فيما يتعلق بالأزمة السورية, كان يُدرك أكثر من ذلك بأنها «مهمة مستحيلة» في هذا الظرف, لكنه أراد أن يبرر قبوله المهمة الوحيدة التي يمكن أن تعيده إلى الأضواء مجدداً, وبالتالي عليه أن يجلس أمام عدسات التلفزيون وهو يبتسم في لقائه الأسد وكأنهما يتسامران في أمور جد عائلية.

«المهمة المستحيلة» لا يُقصد بها استعارة عنوان فيلم توم كروز الشهير, كما عبرت بعض صفحات الفيس بوك الساخرة في سوريا, بقدر ما هي تعبير عن يأس الجميع من أي مبادرة تبحث عن حل سلمي للحالة السورية, فأي حل سلمي أمام تعنت بشار الأسد وإمعانه في القتل والابادة وحرق البلد بعد تدميره؟ وإي حل سلمي يمكن تقديمه لثلاثة ملايين مهجر داخل وخارج سوريا, وعشرات آلاف الضحايا بين شهيد ومفقود ومعتقل؟ إن مجريات الأمور غادرت حقل الحلول السلمية منذ أشهر طويلة, وأدخلت البلد في حالة استنقاع نتيجة عجز النظام فاقد الشرعية عن إعادة الأمور إلى ما قبل آذار/ مارس ٢٠١١, وعجز المعارضة بجناحيها السلمي والجيش الحر عن تحقيق الانتصار على آلة عسكرية عمياء مدعومة من إيران وحزب الله والمدد الروسي الوقح بالذخيرة والعتاد.

استحالة الحل السلمي شكلت نهاية مأساوية لعميد الدبلوماسية الدولية السيد كوفي عنان وخطته, حيث فشل في تطبيق أياً من البنود الست لها, وفي طليعتها البند المتعلق بوقف عمليات القتل التي يمارسها النظام ضد شعبه, وسحب الآليات الثقيلة والمظاهر العسكرية من المدن والشوارع إلى ثكناتها, ودون ذلك استمرار عمليات القتل والابادة الوحشية, واستمرار القصف والتدمير لكل مظاهر العمران والحياة في سوريا. لهذا لم يعد أي أمل بحل سلمي لا يتضمن رحيل النظام بكل رموزه وتعبيراته, وهو ما يرفضه هذا النظام, بل تصل في الوقاحة حدّ قلب الأمور رأسا على عقب حين استبق غوبلز النظام الأسدي ووزير إعلامه السيد عمران الزعبي زيارة الإبراهيمي لدمشق مطالباً بوقف العنف, قائلاً «لا بد من وقف كل اعمال العنف قبل التفكير في اجراء اي حوار», وهو بذلك يدعم التصريح الروسي القائل: «من السذاجة الاعتقاد بأن النظام السوري سيوقف حربه على شعبه أولاً».

استنقاع الحالة السورية لم يكن مجرد تعبير عن توازن داخلي, بقدر ما هو نتيجة العجز الدولي أيضاً عن اتخاذ خطوة عملية باتجاه اسقاط النظام, في ظل استمرار انقسام مجلس الأمن كنتيجة للفيتو الروسي والصيني, وتلكؤ المعسكر الغربي بزعامة الولايات المتحدة عن أي مساهمة في ذلك قبل موعد الانتخابات الأمريكية القادمة.

كل هذا الاستعصاء الداخلي والخارجي جعل الإبراهيم يبدو متشائما في دمشق, وجعل مهمته مستحيلة في الأفق المنظور, لذلك هي لن تكون أكثر من رخصة جديدة للنظام لقتل المزيد من أبناء سوريا وتدمير ما تبقى قائماً من مدنها.

انحسار المواقف الرمادية

سامي شيحان

في زمن الثورات تتقلص المساحات الرمادية بين قطبي الصراع, وتتلاشى تدريجيا المواقف الوسطية, ومع تصاعد العنف والعنف المضاد تكاد تنعدم تلك المساحات شاء أم أبى المستفيئون في ظلالها, وسيكون لزاما عليهم المغادرة أنى يشاؤون, فلم يعد مجال لخيارات إضافية بعيدا عن خندقي الثورة والنظام.

وقد جاءت الانسحابات الأخيرة من صفوف هيئة التنسيق وكوادرها القيادية, وبعض الحركات المشاركة في تأسيسها, لتساهم في تأكيد الفرز السابق, وفي عزل الجناح الذي يقوده الثلاثي: هيثم مناع وعبد العزيز الخير ورجاء الناصر, هذا الجناح الماضي بقوة إلى مؤتمر ٢٣ أيلول/ سبتمبر لتحقيق الحل الديمقراطي برعاية روسية وإيرانية, هذه الرعاية التي شملت دخول مناع إلى سوريا بالتنسيق مع وزير المصالحة الوطنية علي حيدر, كما شملت هذه الرعاية لأول مرة تلقي تعليمات السفير الروسي بدمشق, دون أن يبادر النظام حتى تاريخه بتقديم أي تنازل لهذه المعارضة, فعلى الجميع أن يلتحقوا بركب الحل الديمقراطي, بانتظار انتخابات ٢٠١٤ الديمقراطية بضمانة إصلاحات النظام الأسدي.

فمؤتمر الانقاذ الوطني تقلصت حدوده ليصبح مؤتمراً لإنقاذ النظام ومصالحه, وبذلك تكون هذه المعارضة قد حددت خياراتها الأصيلة, فالوطن بالنسبة لهم ليس أكثر من حدود النظام ومصالحه.

بالمقابل تسير قوى الثورة السورية بخطى حثيثة لإسقاط النظام بكل رموزه, وبشتى الوسائل الممكنة, كما توافقت على ذلك في وثيقتي مؤتمر القاهرة, وتسير باتجاه توحيد حقيقي لصفوفها في حقل السياسة وفي مستوى الفصائل العسكرية التي تتوزع داخل الجيش الحر وخارجه أيضاً في إطار «الجيش السوري الوطني». وستشهد الأيام القليلة القادمة مزيداً من الفرز بين مؤيدي الثورة ومعارضتها وبين مؤيدي النظام ومعارضتهم.

فيلم مسيء... لصورة الإسلام

يبدو بأن إمكانيات التحريض الديني في عالم السياسة هي الوسيلة الأنجع للتحكم والسيطرة على مجموعات محدودة من الجماهير، ومحاولة لتغيير مسارات ثورة الشعوب العربية، عبر إفتعال معارك هامشية، وتضخيمها وتغذيتها بالجهل والخوف، مما يتسبب في نقل بؤر التركيز من المواضيع اللحظية شديدة الضرورة، كالفقر والصحة والتنمية، واستكمال أهداف الثورات في الديمقراطية والعدالة الإجتماعية والمساواة والحرية، إلى أرض وهمية تدعي القداسة في مواجهة الباطل الذي لحق برموز دينية، يقارب عمرها ١٤ قرناً، لكنها تكتسب راهنية خاصة في الدفاع عنها.

في السياق قام موريس صادق القبطي المصري–الأمريكي بصناعة فيلم رديء فنياً ومنعدم القيمة الأخلاقية، وهو تحريضي ضد رسول الإسلام محمد، وقد عرض في داريي سينما فقط في أمريكا منذ شهور عدة وكاد أن لا يعرف به وبفيلمه أحد لولا قيام خالد عبد اللّه ببث نسخة ترايلر له على قناة الناس المصرية الخاصة، وقيام نادر بكار من حزب النور السلفي في مصر (جماعة حازم أبو اسماعيل المرشح السلفي للانتخابات المصرية والكاذب بخصوص جنسية والدته الأمريكية) بالدعوة إلى التظاهر أمام السفارة الأمريكية في القاهرة، مما تسبب في انفجار المكبوت اللاعقلاني لدى مجموعات المتظاهرين اللذين لبوا الدعوة نصرة للرسول، فاقتحموا السفارة ومزقوا العلم ورفعوا علم القاعدة دونه، واشتبكوا متأخرين مع الشرطة، وقد هاجمت بالتوازي معهم مجموعة سلفية ليبية السفارة الأمريكية في بنغازي بذخائر الأر بي جي، مما أسفر عن مقتل السفير الأمريكي وعدة موظفين من مواطنيه، وفي طرابلس لبنان تم إحراق مطعم KFC . وفي حين لم يستطع المتظاهرون السودانيون الوصول إلى السفارة الأمريكية، فقد تمكنوا من نصرة الرسول عبر مهاجمة السفارة الألمانية.

إن المؤشر الخطير في الموضوع السابق، عبر استمرار الإحتجاج والغضب، يحيل إلى مخاطر ولادة حركات دينية متطرفة، تقوم ببث التحريض الإعلامي والكراهية، وبناء عالم متوهم يحيط بأنصارها، يقنعهم بمؤامرة عالمية على دينهم ورموزهم، مما يتسبب في نشوء سمات شمولية لدى هذه الحركات، تجعلها خطراً على الديمقراطيات الهشة الناشئة، يتقاطع ذلك مع مصالح أنصار النظام القديم والفلول، والبعض من راكبي أمواج الثورات في السلطات الجديدة، والكثير من المراقبين الخارجيين وصانعي السياسات الدولية، هواة التعريف الهوياتي الدلالي، والصفات المطلقة للشعوب.

إبداعات سلطوية

يقوم مشغلي خدمة الهاتف المحمول الإحتكاريين في سوريا: MTN وسيرياتل، بتبني االبروباغاندا الإعلامية للسلطة، عن طريق إرسال مجموعات من الرسائل النصية، عبر خدمات ال SMS إلى هواتف المواطنين دون إشتراكهم بهذه الخدمة المجانية، وهي تتراوح بين الترويج الأعلامي لترددات المحطات السورية كالدنيا والإخبارية على الأقمار الصناعية يوتلسات وعربسات بعد حجبها عن النايلسات، أو نقل أخبار عن وكالة سانا تتضمن آخر المواقف الدولية الآخذة بالإقتناع بموقف القيادة السورية الصائب، وتنقل عن لافروف تنفسه وحركاته الإيمائية، وتتهدد العربان بالويل والثبور.

لكنها درجت مؤخراً على إرسال تهديدات عمومية، إلى حزم منتقاة آلياً بشكل اعتباطي، من أرقام مشتركي الخليوي، تدعوهم فيها إلى المسارعة في تسليم السلاح «كن عاقلاً وسلم سلاحك، جنود الجيش العربي السوري قادمون.» في لغة متخشبة مريضة تتهم الآخر وتتهدده في وجوده، حين تصل إلى الناس عشوائياً كقصف مدافع النظام، كما أنها لا تخجل من إغراء زبائنها بالعودة إلى «حضن الدولة الآمن والغفور كحضن الأم!» كما تدعو إلى الوشاية بالعصابات الإرهابية وتشجع على التواصل مع الأجهزة الأمنية، ويذكر بأن خدمة الرسائل المجانية لوكالة سانا تستلزم لإيقافها دفع ٢٥ ليرة سورية.

الحجر الأسود في اسبوع

المأساة تعريفاً هي حدوث الأسوء دون القدرة على تغيير مساره أو رده، وهذا ما يحدث على سبيل المثال في حي الحجر الأسود الثائر المحاصر منذ زمن طويل والقابع تحت نيران جيش الأسد البربري، حيث ابتدأ الهجوم الأخير على الحي، بعد فترة هدوء قصيرة نسبية، يوم الثلاثاء الماضي، فانهالت القذائف على ساحة الحرية، وسقط العديد من الشهداء والجرحى في استهداف مشفى يونس الذي دُمِّرَ وأخرج من الخدمة، وهو آخر مشفى في المنطقة بعد مشفى البراء الذي دمر بدوره سابقاً، ثم قصف الطيران الحربي والمروحي الحي، بالتزامن مع جبهة الحرب المفتوحة التي يخوضها النظام ضد الأحياء الجنوبية من دمشق، فتدفقت جثماين الشهداء إلى الحجر من بلدات يلدا وسبينة وبويضة والذيابية وحجيرة والقدم وعسالي، ونقل إليه مئات الجرحى في ظل نقص واضح في المواد والقدرات الإسعافية وانهيار الخدمات إجمالاً، ويذكر بأن ثلاثة أطباء أسنان هم كامل ملاك مشفى السبينة الميداني.

تواصلت الحرب السلطوية يوم الإربعاء بسقوط قذائف الهاون على حي تشرين في الحجر، ثم تلاها قصف مدفعي، مما دفع التنسيقية والقوى الفاعلة على الإرض إلى إعلان الحجر منطقة منكوبة، نتيجة للحصار الخانق الذي يمنع دخول الغذاء والدواء وتنقلات البشر وهروبهم حفظاً لحياتهم، والقصف العنيف بالطائرات والمدفعية، مما أدى إلى تدمير سوق الخضرة والبنية التحتية للكهرباء ومراكز الخدمة في الحي الذي هجره سابقاً أكثر من ٩٠٪ من أهله، في ظل توقف الأفران عن العمل لإنعدام التزود بالطحين، وقصف محطة الوقود الوحيدة بعد نفاذه منها نهائياً.

على الرغم من ذلك خرجت مظاهرة عقب صلاة الجمعة رغم أنف الجيش السوري، الذي حاول يومها اقتحام الحي من جهة شارع ال٣٠ بالدبابات والجنود المحتمين بها، تلحق بهم سيارات الشبيحة المزودة بمضادات الطيران، لكن الجيش الحر تمكن من صدهم، لتستمر الإشتباكات في منطقة المزارع المجاورة لشارع ال٣٠.

يوم السبت قامت قوات الأمن بمهاجمة مشفى فلسطين، بين مخيم اليرموك والحجر، وقامت باختطاف جثمان الشهيد يحيى ابو راشد وهو جندي منشق من جيش التحرير الفلسطيني، وعملت على وضع القناصين على سطح المشفى، ومنه تم اغتيال إمرأة مسنة قرب مشحم عامر، وبقيت على قارعة الطريق طعماً للقناص يقتل به كل من حاول سحب جثمانها.

اليوم لا شيء يسر النظر في أزقة الحجر المدمرة، بيوت الفقر المصنوعة البلوك الرمادي العاري والخزانات الحمر وآثار الدمار تشكل لوحة الحجر الأسود، يقطعها هديل الحمام النافر من صوت القذائف حيناً، وعزائم الرجال التي لا تكل.

سوريا في ظل الإحتياط

رضا أسعد المحمد

منذ ١٥ آذار ٢٠١١ ، لحظة وقف السوريون يصغون إلى نشيد الحرية، بدأ المجتمع في خوض رحلته الملحمية إلى شطآن الحلم، عبر بحر الظلمات، لم يفكر أحد في الخطر، رُفِعَت المرساة برشاقة التوق الجارف إلى الإنعتاق، ربما لم ينظر الكثيرون إلى الأمام، فقد كان ماضي الألم هو القوة المحركة الأشد دفعاً وزخماً، حيث أن أكثر من أربعين عاماً في ظل ديكتاتورية عسكرية كانت الخطيئة الكبرى في تاريخ سوريا المعاصر، والمظلمة الأسوأ في تاريخ السوريين الحديث، حيث أريد للشعب أن يلعب لعبة التظاهر بالموت والدفن حياً في سيرك القومية البعثية.

انفجرت الثورة وغرقت السلطة المهووسة بالإنكار في رفض عمدي لما يحدث، وبدأت تستعيد من كتب القمع القديمة المنسية تعاويذاً وسبلاً لإخضاع الشعب وإعادته كما كان، ليناً مطيعاً ينهشه الخوف والفقر، يقبل اليد التي تضربه ولا يملك جرأة الدعاء عليها. لكن القيد انكسر، وصار للسوري تجربة جديدة : التمرد.

بدأت السلطة المصابة بالذهول في محاولة أولية لفهم ما يحدث حولها، وقررت منذ لحظات مبكرة مواجهة الثورة وعدم الانحناء لموجة التغيير، ورفض الخضوع إلى الإرادة الشعبية، ومواجهة الناس بكل الوسائل المتاحة، لتبدأ تجربتها في خلق الطرق والتقنيات المناسبة واللازمة حسب اعتقادها لإخماد نار الثورة الملتهب.

إن تفارق السلطة واحتقارها للسوريين إجمالاً، واستكانها إلى معطيات أجهزة شرطتها السرية ومخابراتها تاريخياً وقطع كامل الصلات مع السياسة في التعامل مع الداخل لصالح العنف فقط. هذه الأجهزة الأكثر فساداً وجهلاً بالناس وظلماً لهم، كانت غارقة في الجهل لطبيعة ما يحدث، مما جعل من مراكز صنع القرار الحقيقية في مواجهة نقص معلومات استخبارية عن عموم السوريين المنتفضين، لأن من دخلوا الفضاء العام في موجة الثورة العاتية هم بغالبيتهم مجهولين ومهمشين من قبل السلطات، التي بدأت أولى عملياتها العنفية بالقتل للمئات والاعتقالات الجماعية لعشرات الآلاف بهدفين رئيسيين ا– إخماد الثورة ٢– التعرف إلى محكوميها وتشكيل قاعدة بيانات جديدة لغير المعرّفين لديها، واتضح جلياً بأن الثورة هي فعل الأجيال الجديدة من مناطق الغضب والتهميش الشعبية، وهم يشكلون أساس وعديد الجيش العربي السوري، من جنود الخدمة الإلزامية أو الإحتياط، فقررت الاحتفاظ بمن لديها من المجندين المنتهية مدة خدمتهم وعدم تسريحهم، للاستفادة من جهلهم بما يحدث، بإبقائهم ضمن ستارها الحديدي، وضمان سجنهم لديها في أعداد هائلة ضمن فرق وتشكيلات عسكرية لم ولن تشارك في القتال لعدم ضمان ولائها، وذهبت في الوقت عينه وراء عشرات الآلاف من المطلوبين إلى السوق العام.

لكن عمليات الانشقاق صارت الظاهرة الأبرز وخصوصاً لدى المجندين الإلزاميين، إذ أنه وبمجرد حصول تماس بين العسكريين والمظاهرات السلمية واكتشاف مقدار العنف الممارس بهم ضد شعبهم من جهة، والموت الممارس ضدهم من قبل أجهزة الاستخبارات في حال عصيان الأوامر، يدركون مقدرا الضلال والكذب الذي يحيط بعالمهم المتوهم، وهذه هي البداية المنطقية الأولى لجميع عمليات الإنشقاق التالية، التي بدأت تهدد بنية جيش السلطة بالخطر، عبرحدوث الكثير من الفراغات العشوائية فيه، وانقطاع حلقات في سلاسل وهرمية السلطة، وفي كثير من الأحيان فقدان من يلزم لتنفيذ الأوامر، ترافق ذلك مع بدء تشكل المقاومة الشعبية المسلحة في شكل الجيش السوري الحر.

اليوم أوغلت أجهزة السلطة القمعية في الدم السوري، وفاقت عملياتها البربرية المتخيل والروائي في تدمير المدن وتهجير الملايين وقتل عشرات الآلاف وسجن مئات الآلاف، مستخدمة كامل طاقتها القتالية ومستهلكة جزئاً كبيراً من عمادها البشري، في معركة يخسر فيها السوريون دائماً حين تضعهم قصداً في حال التقاتل: جيشهم وقوات نخبته ضدهم.

يتمثل آخر الفصول حالياً والشغل الشاغل لمعظم الشباب المنتهين من خدمتهم العسكرية الإلزامية ما قبل الثورة في طلب الجيش والقوات المسلحة للاحتياط، وهذا يعكس التدهور الخطير في تكوين الجيش، وفي نفس الوقت الرغبة في تغذية أتون الحرب السلطوية بمزيد من الشباب، في صيغة أقرب ما تكون إلى السفر برلك العثماني، إذ يتم سحب القادرين على حمل السلاح إلى مناطق وحروب لا تعنيهم، في مواجهة أهلهم وذويهم الثائرين، وفي هذا التقابل سريالية خاصة بالمشهد السوري.

يقول أحمد وهو من دمشق: «ما طلعت برات الحارة من شهر، المرور على الحواجز بيسم البدن، ما بيسألوا الشباب غير عن مواليدها، اللي بعمر الخدمة عم يسحبوه دغري يالله على المسلخ، واللي على الإحتياط وقعتو سودا، دغري عم بيزتوا الشباب عالموت.» أحمد وهو إبن ال٣٠ عاماً بائع للخضرة وأب لثلاثة أولاد، يَعُدّ أيام النظام وينقصها «ضربة عين» كما يقول: « شو مفكرينا جدبان يعني، بيسوقونا متل الغنم لنقاتل اخوتنا، الله ما قال هيك، ما برفع بارودة على سوري، كلنا ولاد هاي الأرض، وبتوسعنا كلنا.»

شفيق مدرس جغرافيا من درعا ومن سكان دمشق، مطلوب حالياً للاحتياط وهو الملازم المجند قائد فصيلة مشاة إبان خدمته العسكرية السابقة، يقول: «إذا فرض علي ذلك، سأذهب إلى الجيش الحر، حين تصبح القصة إما قاتل أو مقتول، لا أفضل أن أموت إلا دفاعاً عن الثورة.» استشهد لشفيق أخته وابنها أثناء القصف الهمجي على درعا البلد، يقول :» ما ظل لنا كثير من الخيارات، والثورة تحتاجنا، وما يحدث اليوم من طلب للاحتياط هو جريمة إضافية بحق الناس، واللي بده يروح لازم يعرف انه رايح على الموت ببلاش، وانه راح يكون هدف للثوار.»

تعكس الثورة وحالة المجتمع عدم استقرار واضح، إذ أنه مع نزيف الهجرة واللجوء الحاليين إلى الخارج تكاد تخلو البلد من ساكنيها وخاصة الشباب، ويأتي طلب الإحتياط سبباً مضاعفاً للرحيل، يقول خالد وهو سائق شاحنة من السويداء عبر السكايب من عمان: «حين أخبرني ابن عمي بنيتهم طلب الإحتياط حسمت أمري بالرحيل، لا أريد الموت في هذه الحرب، إن النظام وآل الأسد يريدون أن يبقوا في كراسيهم على جماجم السوريين.» وفي سؤاله عن معارفه المطلوبين أيضاً يقول: «المساكين اللي وقعت براسهم هم الموظفين، لم يستطيعوا الخروج، كل عمري كنت قلهم لرفقاتي الموظفين انهم محبوسين.»

ولدى سؤال رياض من حرستا وقاذف الأر بي جي إبان خدمته الإلزامية يقول: « يبلطوا الزرقا، لن أذهب إلا جثة.» وعن رفاق حارته وجيرانه المطلوبين يقول:» اللي معو مصاري صار برا بالخليج، اللي بقيوا هون هني المعترين، لي دخيلك مين عم بيروح غير هالمعترين، لي مين عم بيروح عالجيش الحر غيرهم أصلاً.» وفي معرض سرده لمأسي العالم الذين يعرفهم يقول الشاب ذو الخمسة والثلاثين عاماً ومعيل العائلة الوحيد بعد اعتقال إخويه: «ما بقي بيت إلا وفي شهيد، لا تسأل عن المعتقلين والمختفيين، الله أعلم وينهم، وهدول ما بيرجعوا هيك، صار في تار كبير بين هالشعب، الله يستر بس اللي شفناه ما بينحكى، وما في عسكري آدمي إلا وانشق.»

يختبئ الشباب من الدوريات والمداهمات قدر الإمكان، ويتدبرون أمورهم ضمن مناطق محددة ومحصورة حيث تبقى الحواجز المقطعة للبلد هي الكارثة الأعظم، وفي الوقت الذي شكلت فيه القوائم الورقية المطبوعة هواجس رعب للسوريين، فإن بدء مشاهدة أجهزة الكومبيوتر المحمولة بين أيدي العسكر على الحواجز في بعض المناطق، وهي محملة بقواعد بيانات المطلوبين للأجهزة الأمنية، صار هو الكابوس الحقيقي للجميع، وتنتشر الشائعات كالنار في الهشيم، لكن الملاحظ بالتجربة اليومية، هو السؤال الدائم عن الخدمة العسكرية للجميع، وبدأت توثق حالات سوق من خلال الحواجز.

السوري اليوم ملاحق ومطارد من كل الجهات، يهرب من القصف العشوائي، فيقع في مصائد الحواجز الطيارة والثابتة، تطارده حياة السجن العسكري الكبير أينما ولى وجهه، قد لا تنفعه كثيراً أوراق التأجيل الدراسي أو الإداري، فحرب السلطة جشعة وهي تحتاج إلى أرواح المزيد والمزيد من أجمل شباب سوريا. السوري اليوم هو الثائر الضحية، هو المقاتل المغتال بدمه، هو الوحيد الذي يرفع رأس الأرض ويبكيها.

الموت و الخبز اليومي

كتبته: آنا نيستات
سبتمبر ١١/ ٢٠١٢

قامت ممرضة شابة بمستشفى دار الشفاء بمدينة حلب بتقليب صفحات دفترها الضخم، لتعطيني أسماء من قتلوا وجرحوا في الهجمات الأخيرة بشكل يومي. توقفت وتنهدت عندما وصلت إلى صفحة كتب عليها «١٦ أغسطس/ آب». استغرقت بضع دقائق في عدّ الأسماء ثم قالت بهدوء، وجسدها يرتعد بسبب ذكريات ذلك اليوم « لقد تلقينا ستين جثة جراء هجوم واحد، لم نتمكن من تحديد هوية أحد عشر قتيلاً منهم، هذا بالإضافة إلى ستة وسبعين جريحاً كانوا يقفون أمام المخبز، في انتظار الخبز». لقد وصفت عملية قتل جماعي أمام مخبز يسمى فرن الذرة، في حي قاضي عسكر، بمدينة حلب.

أنا أعمل في سوريا بشكل سري منذ أربعة أسابيع، أتحقق من انتهاكات قوانين حقوق الإنسان من قبل طرفي النزاع، وهي رحلتي الثالثة داخل الأراضي السورية خلال ثمانية عشر شهراً، بهدف توثيق الانتهاكات المروعة التي ترتكبها القوات الحكومية السورية. ومع ذلك أجد الأمرعصياً على التصديق: قصف المخابز؟! قتل الواقفين أمام المخابز؟! ماهو هدف الحكومة من مهاجمة الأهالي وهم يقفون في الطوابير، في انتظار الخبز من أجل عائلاتهم!

المخابز هي الأماكن الوحيدة التي قد ترى فيها حشداً من الناس في مدينة حلب التي مزقتها الحرب، أو في القرى المحيطة. حيث يبقى الأهالي معظم الوقت مختبئين خوفاً من هجمات المدفعية أو الهجمات الجوية التي أصبحت عادة يومية على مدار الشهر الماضي، لكن النقص الحاد في الخبز في المناطق التي تسيطر عليها المعارضة، أجبر الأهالي على الخروج من بيوتهم في الفجر، أو ليلاً حين تصل حصص الطحين إلى المخابز، فتبدأ عملها.

يعتبر الهجوم على طابور من منتظري الخبز صادماً، لذلك وجب علينا إجراء تحقيق لتحديد ما حدث، يبدأ عند فرن الذرة.

عند وصولنا، كان المخبز مفتوحاً رغم الهجمات السابقة، ويتجمع أمامه مئات الرجال والأطفال، بينما النساء تقفن صفاً داخله. ولقد وجدنا عدداً من الشهود الذين تواجدوا وقت الهجوم يوم السادس عشر من أغسطس/آب. أخبرونا أنه في حوالي الساعة السادسة إلا ربع، سقطت قذيفة أو اثنين من قذائف المدفعية على الميدان، قرب أحد قواعد الجيش السوري الحر في المنطقة، على بعد مائة وخمسين متراً من المخبز. لم تحدث القذيفة أي خسائر في المنشآت أو في الأرواح بين أفراد الجيش السوري الحر، وبعد حوالي ربع ساعة سقطت ثلاثة قذائف تباعاً قرب المخبز في غضون دقائق، وأصابت القذيفة الثالثة شارعاً على بعد أمتار من المخبز، وتناثرت الشظايا على الواقفين .

يعتبر ما حدث هو الأكثر دموية من بين ما تم توثيقه في مدينة حلب، ولكن مازال الوقت مبكراً للوصول إلى استنتاج نهائي. وفي الأيام التالية قمنا بتوثيق خمس هجمات أخرى على مدينة حلب والقرى المجاورة لها. وجمعنا معلومات موثقة عن أربع هجمات أخرى. في كل الحالات عدا واحدة فقط، هاجمت القوات الحكومية المخابز عندما كان الأهالي ينتظرون أمامها. كما قمنا بفحص الفجوات التي سببها القصف وبقايا الذخيرة، فاكتشفنا أنه تم إطلاق ذخيرة حربية مثل قذائف المدافع والصواريخ والقنابل قرب صفوف الواقفين في انتظار الخبز، وأنها قتلت وأصابت عدداً كبيراً من الأهالي. وفي حالات قليلة، سمع المنتظرون أمام المخابز صوت طائرات مقاتلة تقترب، فتمكنوا من الهرب قبل الهجوم، وشاهدوا الطائرات وهي تسقط حمولتها من الذخيرة.

المخابز العشرة التي تمت مهاجمتها كانت في مناطق أو مدن لا تشهد عمليات عسكرية قبل الهجوم أو بعده. فرن الذرة هو الوحيد الذي يقع قرب موقع للجيش السوري الحر. وفيما يتعلق بالمخابز الأخرى، فلقد وثقنا عدم وجود أهداف عسكرية، عدا بعض أفراد من الجيش الحر يقومون بالمساعدة في توزيع الخبز .

وهناك العديد من مقاطع الفيديو التي التقطها شهود عيان بعد الهجمات، توثق شهادتهم بوضوح صادم. أحمد (ليس اسمه الحقيقي) عمره سبعة عشر عاما، نجا بأعجوبة من هجوم على مخبز أقيول في حي باب الحديد في الحادي والعشرين من أغسطس/آب، بمدينة حلب. يقول في شهادته أنه رأى مروحية تحوم حول المنطقة في ذلك اليوم، فقام بتصويرها. ثم رأى المروحية تسقط قنبلة فجرى يبحث عن ملجأ، ثم أكمل التصوير بعد أن غادرت المروحية. كان في حالة من الهلع منعته من وصف ما حدث، واكتفى بأن ناولني الكاميرا.

صورت الكاميرا أكثر المشاهد التي رأيتها بشاعة. الكاميرا تتحرك ببطء لتصور صفاً طويلاً من الناس إلى جوار المخبز، جميعهم مقتولين أو مصابين إصابات خطيرة. وهناك العديد من الجثث مبتورة الرأس أو الأطراف ممددة على الأرض قرب المخبز .

الموضوع لا يحتمل الخطأ، فالقصف كان عشوائياً وبلا تمييز، كما أن نوعية الهجمات وعددها تدل بوضوح على تعمد القوات الحكومية استهداف المدنيين. إنها المرة الأولى التي نقول فيها بثقة أن لدينا دليل على وجود هجمات بالمدفعية والطيران تستهدف المدنيين، وهو ما يشير إلى دخول الصراع مرحلة جديدة، حيث لجأت القوات الحكومية إلى أكثر التكتيكات بشاعة؛ وهو قتل وترهيب المدنيين، بعد فشلها في وقف تقدم قوات الجيش الحر عبر البلاد .

إن ما يحدث دليل على يأس القوات الحكومية، حيث لا تبذل أي جهد من أجل التمييز بين المقاتلين والمدنيين، فتبدأ في قتل النساء والأطفال الذين لا يشتركون في أية أعمال عدائية ضدها. ويمكن اعتبار ما يحدث صرخة لإيقاظ بعض أعضاء المجتمع الدولي الذين يتعاملون حتى الآن مع النظام السوري كشريك شرعي. وفي هذه الأثناء، يتسبب التساهل مع النظام السوري في إضافة المئات من الأسماء الجديدة إلى قائمة الضحايا في أماكن مثل مستشفى دار الشفاء.

آنا نيستات: المدير المساعد لقسم الطوارئ في هيومن رايتس ووتش

منشور في: مجلة «وورسكيبس»
http://www.hrw.org/ar/news/2012/09/11-0

الإعلام السوري والحريات الصحفية

يم درويش

يشير «التقرير الوطني للتنافسية» الصادر عن «المرصد الوطني» التابع لرئاسة الحكومة السورية, والذي نشر أواخر العام ٢٠١١, أن مؤشر حرية الصحافة في سوريا تراجع من المرتبة ١١٣ خلال الأعوام ٢٠٠٧ – ٢٠٠٨ إلى المرتبة ١٢٤ في العامين ٢٠٠٨ – ٢٠٠٩, ثم تابعت انحدارها في العام التالي لتحتل المرتبة ١٢٥, لكن سوريا في العام الأخير٢٠١١, شهدت انحدار مؤشر حرية الصحافة تسع درجات جديدة, لتحتل المرتبة ١٣٤ من أصل ١٣٩ دولة في العالم تخضع صحافتها لهذا المقياس.

فإذا كانت الأرقام المدرجة أعلاه تغطي الفترة السابقة على الحراك الثوري في سوريا بأربع سنوات, فإننا نستطيع الحديث عن وجود إشكالية بنيوية فيما يتعلق بالحريات الصحفية وحرية الإعلام في سوريا, حيث لم يبق أسوأ من الحالة السورية إلا خمس دول في العالم.

وهذا التراجع الذي ترصده تلك الأرقام كان قبل تطبيق قانون الإعلام الجديد الذي يجيز سجن الصحفيين في أكثر من حالة, لكنه لا يجيز قتل الصحفيين, كما يحصل حتى تاريخه, حيث قتل ابتداء من مطلع هذا العام كل من الصحافي الفرنسي جيل جاكييه والصحافية الأميركية ماري كولفن والصحافي الفرنسي ريمي أوشليك وصولاً إلى الصحفية اليابانية ميكا ياما موتو التي قتلت في قصف مدينة حلب بتاريخ ٢٠١٢/٨/٢٠, لتبلغ حصيلة شهداء الإعلام (٦٤) صحفياً وناشطاً إعلامياً, منهم تسعة أجانب وخمسة عرب, كما أصيب آخرون بإصابات بالغة, إضافة لاختطاف الصحفي التركي ادم اوزكوسي والمصور حميد جوشكون. فيما طالت الاعتقالات أسماء متزايدة من الإعلاميين, وليس آخرهم مجموعة الإعلاميين السبعة عشر العاملين في «المركز السوري للإعلام وحرية التعبير» ومن ضمنهم مدير المركز السيد مازن درويش, الذي ما يزال مع أربعة من زملائه رهن الاعتقال في الفرقة الرابعة لصالح مخابرات القوى الجوية.

من جهة ثانية يفرض النظام قيوداً مشددة على دخول الصحفيين إلى سوريا وتحركاتهم ونشاطهم الإعلامي. خوف أن يتمكنوا من إخبار العالم حقيقة ما يجري في سوريا من أحداث, بحجة أنها فضائيات مغرضة وإعلام مشبوه, مما اضطر أغلب شبكات التلفزة مؤخرا للاستعاضة عن مراسليها المحترفين بمراسلين ميدانيين كانوا لفترة خلت ينتمون لفئة «المواطن الصحفي» بمعناها غير الاحترافي, وهم الآن يغطون أغلب المناطق وحتى الأرياف الساخنة في سوريا, ونشاهدهم يوميا عبر قنوات الجزيرة والعربية وسواهما.

وقد وصل الأمر ببعض أبواق النظام القول بأن كل ما تبثه «وسائل الإعلام المغرضة» مجرد أكاذيب وفبركات

إعلامية تمت منتجتها في استوديوهات «الجزيرة» حصرياً, وبالتالي هي حرب إعلامية تدور رحاها في الأثير السوري بين الإعلام الرسمي وما يشايعه من محطات موالية, وبين «قنوات الفتنة المغرضة» التي تبث من الجزيرة والعربية وباقي بلدان العالم الحر, مما خلق تناقضا بين الموالاة والمعارضة على أساس «الداتا» المعلوماتية والإعلامية التي يمتلكها كلا الفريقين. لكننا على ثقة بأن «التقرير الوطني للتنافسية» سيشير في العام القادم, فيما لو تأخر سقوط النظام الأسدي, بأن سوريا تحتل آخر درجات سلم الحريات الصحفية للعام الحالي, إذ لم يعد بوسع أي نظام آخر أن ينافسنا في مجال قمع حرية التعبير والحريات الإعلامية.

لماذا فشلت السلمية في الثورة السورية

عاصي أبو نجم.

لم يخلق السلاح من عدم في الثورة السورية, بل جاء نتيجة لانسداد إمكانيات ووسائل الثورة السلمية المتبعة في إحداث التغيير المطلوب في بنية النظام السوري, التغيير المُجَسَّد كهدف الثورة المركزي في انهاء حكم آل الأسد، وتفكيك دولة المستعمرات الأمنية–المالية. استغرق ذلك من الزمن شهوراً طويلة وعدد شهداء تجاوز الخمسة آلاف, حتى بدأت أولى مظاهر التسلح العلنية تشق طريقها إلى بنية وأدوات ولغة الثورة, بغرض شديد الوضوح: حماية الثورة السلمية. تتمثل في هذه النقطة خصوصية الثورة السورية, فهي ثورة سلمية لجأت إلى السلاح لحماية مظاهر سلميتها, والمحافظة على نفسها أمام عنف السلطة المطلق.

إن إحتقار السلطة التاريخي لمواطنيها وخاصة الفقراء، بعد ترسيخ تفارقها الطبقي عنهم, هو من شَكَّلَ جسم الثورة البشري المكون مناطقياً بشكل أساسي من سكان المدن غير الرئيسية وسكان الأرياف وأحزمة البؤس, وهي المناطق المعرضة لتهميش قصدي نتيجة التركيز الحكومي على مراكز المدن الكبرى في سياساتها الليبرالية ذات المنحى الريعي. ويحمل سكان هذه المناطق شعوراً عميقاً وطويلاً بالذل والقهر رافق عمليات التهميش والتجهيل الممارسة عليهم كتعبير سياسي لحجبهم وجودياً.

في مملكة الصمت الوراثية عملت السلطة على سحب السياسة من المجتمع, وتجفيف جذور المدنية فيه, عبر سمات شمولية رافقت دكتاتوريتها العسكرية, مما جعل الصحراء تحل مكان التضامن المجتمعي, وعزز ذلك بأمراض الخوف من الآخر, وتفتيت الجميع إلى نويات ذاتية متضخمة لا يشكل مجموعها أي لون متمايز لصالح ثقل وطأة الهرم السلطوي. انعكس ذلك جلياً في عفوية الثورة, وغياب القيادات الجامعة لها, وعجزها الحقيقي عن تطوير تخطيط استراتيجي يصعّد الصراع المجتمعي مع السلطة, وظل الحراك السلمي يناور بين مجموعة متاحة من الوسائل السلمية للاحتجاج, لم تتطور أبداً إلى المقاومة, وظنت الثورة خطأً بأن ما ينقصها هو القيادة السياسية الجامعة, فابتلت بمئات القيادات المتناحرة نتيجة تضخم أوهامها عن الذات وقدرتها على الإنجاز, ويبدو لأي مراقب بأن الإشكال الأهم كان في صناعة هذه القيادات من الأعلى وفرضها على واقع الثورة.

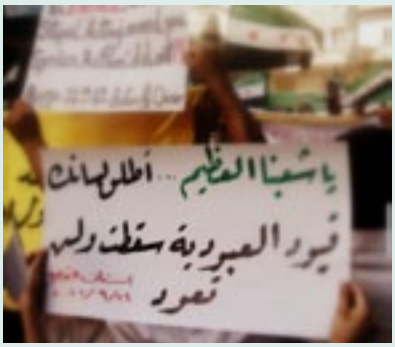

إن السلمية بعكس ما يدعي رومنسيو الثورة السورية, هي حرب شديدة الصعوبة تتضمن تقنيات ووسائل قتالية لاعنفية أهمها الإضراب والعصيان المدني والعسكري, وهي تعتمد بشكل أساسي على التخطيط الإستراتيجي طويل الأمد, الذي يدرس الوضع والإمكانيات والموارد المتاحة ونقاط ضعف وقوة جميع الأطراف, ويستفيد بشكل رئيسي من توظيف عكسي لقوة الديكتاتورية العسكرية وخلخلتها عبر تفكيكها, ويُسَخِرُ جميع المعطيات السابقة في المعارك الجزئية القائمة على تحقيق أهداف مرحلية تضمن الإنتقال السلمي من الوضع الحالي إلى مرحلة إسقاط النظام, وهي لا تعني التناقض مع العنف بقدر ما تعني تجنبه قدر الإمكان.

ترافق غياب التخطيط لدى الثورة وحوامله مع وضوح استراتيجية السلطة البربرية البدائية والمبنية على التفريق والضرب بالقوة العظمى كما لم يفعل أحد من قبل, دفع هذان السببان بالضرورة إلى دخول السلاح البسيط وحملته إلى ميدان الصراع, وهم إجمالاً من المحرومين والفقراء بغرض الدفاع عن الذات, بعد أن تركوا لوحدهم يواجهون كامل صنوف الموت, حاملين معهم غضبهم وشعورهم المركب بالظلم والترك تعوزهم الذخيرة في وجه آلة الحرب السلطوية.

الهوية والآخر .. صراع غير متكافئ

السوسن الدمشقي

المعركة الشرسة التي بدأها الإسلاميون في مواجهة فيلم «براءة المسلمين» تعيدنا بشكل أو بآخر إلى صراع الهوية والآخر, وهو عموما صراع غير متكافئ في حده الحضاري, وفي بعده السياسي أيضا, صراع تتحدد أطرافه بطريقة جمعية وأيديولوجية تعيدنا إلى مفاهيم القطيع, وفي أفضل الأحوال الهوية, فيكون الإسلام واحدا بكل مكوناته, ويكون الغرب واحدا بكل مكوناته أيضا, ويكون الإسلام هو الضحية المعتدى عليها, ويكون الغرب هو المعتدي الآثم باستمرار, ويتكرر هذا الصراع في الكثير من المناسبات, وأعتقد أن جيلنا يتذكر بوضوح فتوى مرشد الثورة الإسلامية في إيران بتاريخ ١٤ شباط/ فبراير من العام ١٩٨٩ الإمام آية الله الخميني, بعد أشهر على صدور رواية «آيات شيطانية» للكاتب البريطاني من أصل هندي سلمان رشدي في ايلول/ سبتمبر من العام ١٩٨٨ حيث نصّت بأن المؤلف وناشر الكتاب «قد حكموا بالموت, وعلى جميع المسلمين تنفيذ ذلك أينما وجدوهم, كي لا يجرؤ أحد بعد ذلك على إهانة الإسلام, ومن يُقتل بهذه الطريق فهو شهيد».

لكن الجماهير التي التقطت هذه الفتوى لم تقف عند حدود العقاب الشخصي لمن ارتكب إثما من وجهة نظر الإمام الخميني, بل اندلعت المظاهرات حينها في أغلب بلاد المسلمين, والتي تتكرر الآن بذات الطريق التي يكون فيها استهداف لسفارات الدول الأجنبية, ومقتل بعض العاملين في السلك الدبلوماسي كما حصل بإحراق القنصلية الأمريكية في بنغازي, وربما يكون بينهم مؤيدون أو متعاطفون مع قضايانا كعرب أو كمسلمين, إضافة لمقتل العشرات من رجال الشرطة ومن المتظاهرين أيضا, واصابة المئات من المسلمين, فمن يبرر هذا السلوك؟

ما بين فتوى الإمام الخميني بهدر دم سلمان رشدي وبين ردود الفعل الغاضبة على فيلم «براءة المسلمين», نتذكر أيضا ردود الفعل المشابهة في بلاد الإسلام وغضبة المسلمين في بلدان الغرب عموما وفي أمريكا بشكل خاص إثر نشر كاريكاتير في إحدى الصحف الدانماركية بتاريخ ٣٠ أيلول/ سبتمبر ٢٠٠٥ تسيء للرسول الكريم وبالتالي تسيء لمشاعر المسلمين, وتكرار هذه الحوادث المشابهة من أفعال ومن ردود الأفعال, تجعلنا نبتعد عن البراءة قليلاً في فهمنا لما يحصل, ونتساءل: هل يمكن أن تكون هكذا افعال استفزازية مقصودة بمصدرها؟ ومطلوبة بنتائجها أيضاً؟

وفي هذه الحالة هل نتحمل نحن المسلمون المستهدفون في هذه الأفعال ما يصدر عنا من ردود غاضبة, وما ينتج عن ردودنا وعن غضبنا من إساءات للآخرين وصولا إلى جرائم القتل؟ أم الحق على هؤلاء الأفراد الذين يقومون باستهدافنا واستفزازنا أيضاً؟ وهل يحق لنا أن نعمم المسؤولية انطلاقاً من هؤلاء الأفراد ووصولاً إلى مستوى الشعوب والدول والديانات الأخرى؟ وأي عدالة تلك وأي إسلام يأخذ البريء بذنب المجرم؟

دعونا نلقي نظرة على حدث معاكس في اتجاهات الفعل وردود الفعل أيضاً, وأقصد رواية «الإغواء الأخير للمسيح» لمؤلفها اليوناني المسيحي نيكوس كازانتزاكي, والتي نقضت الكثير من المعتقدات المسيحية حول السيد المسيح ووالدته مريم العذراء, بل شكلت إساءة لهما في نظر الكثيرين, حتى أن بابا الفاتيكان حينها أصدر حرما كنسياً بطباعة وقراءة هذه الرواية, لكن شيئا من هذا لم يحدث, ولم يتطرق الحرم الكنسي لمؤلف الرواية أو ناشرها, وحتى في سوريا والمنطقة العربية لم تثير ترجمتها للغة الضاد التي قام بها الراحل ممدوح عدوان أي ردود فعل دينية أو موجة من الغضب تطال المقدسات الإسلامية أو شخص الكاتب أو الناشر أو أحداً من المسلمين.

واضح أن هكذا مقاربات, وعلامات الاستفهام السابقة لم يتطرق لها الداعون إلى أفعال الغضب المستمرة إلا بالمعنى السلبي, حين هدد السلفيون في الأردن الأمريكيين بشعار: «ترقبوا أفعالنا الحرة ردا على حرية أقوالكم». والسؤال الآن: لمصلحة من يكون تحرير الأفعال؟ وهل يخدم هذا الشعار شعوب المسلمين وقضاياهم؟ أم هو يخدم أجندات أرادها أعداء الإسلام حين سعوا إلى تثبيت صورة الإسلامي الغوغائي الذي يشهر مديته للقتل فقط؟

نعم لا جديد في ردود أفعالنا التي أريد لها أن تبقى في هذه النمطية البائسة, حيث ينهض العرب والمسلمون كعملاقٍ ضخم غاضب, يقتحمون السفارات الأمريكية في العواصم العربية, يحطمون الحواجز, يصرخون, يرفعون أعلام القاعدة وصور بن لادن, يحرقون السيارات, من تونس إلى ليبيا ومصر. أمّا في السودان, وحيث فشلوا في الوصول إلى السفارة الأمريكية كانت وجهتهم إلى السفارتين البريطانية والألمانية. كلّه فداء لنبي الله الكريم, ودفاعا عن الإسلام الحنيف, فهناك, في العالم البعيد, أنتج رجل ما, وأخرج رجل ما لم تُعرف هويته بعد, فيلماً مُسيئاً للرسول الكريم.

هدف الفيلم واضحٌ, وهو استفزاز الجماهير العربية, وهي جماهير جاهزة للاستفزاز مسبقاً, جماهير مقموعة ومفقرة ومتطرفة لدرجة أنها لا تكتشف طريقا إلى الجنة إلا بقتل القنصل الأمريكي في بنغازي, حتى لوكان الثمن تدمير بنغازي أوقتل الكثير من الليبيين مثلما حدث في عملية لوكربي التي مازال الشعب الليبي يدفع ثمنها حتى الآن, والسؤال ماذا تغير في سلوكنا بعد الثورة الليبية عن زمن العقيد؟ وهل نجحت الثورة بتغيير سلوك الجماهير والارتقاء بها ولو قليلاً؟ وما هي مسؤولية النظام الجديد في كل ذلك؟

أعتقد أن الفاتورة المباشرة سيدفعها الرئيس المصري المنتخب محمد مرسي, والذي مازال يلعب في حقل الأيديولوجيا الأخوانية رغم انسحابه من قيادة التنظيم, والتي يمكن أن تتيح له فرصة نادرة للارتقاء بالإسلام السياسي إلى مستويات مدنية ومنفتحة على الطريقة حزب العدالة التركي, لو توفرت له الجرأة والكاريزما الشخصية التي تنتظرها الجماهير في مصر والأمة العربية أيضا, هذه الجماهير التي انتخبته ليقود الربيع العربي الذي مازال في بداياته, لكنه بكل أسف فضل ومعه حزب النهضة في تونس أن يدخلا المنافسة مع الاتجاهات السلفية ومع مسميات القاعدة في ممارسة الإفطار الرمضاني وطقوس العبادة والزود عن الرسول العربي في وجه الحاقدين والمسيئين إليه, ناسياً ان جد النبي الكريم عبد المطلب بن هاشم قال لقومه في عام الفيل الذي صادف عام ولادة محمد بن عبد الله, حين هاجم أبرهة الحبشي الكعبة المقدسة قبل الإسلام: إن للكعبة رب يحميها.

لكن الفاتورة الأكبر باعتقادي ستدفعها الثورة السورية التي تنتظر الدعم الغربي والأمريكي في مستويات الإغاثة وحماية المدنيين, وصولا إلى الجهد السياسي والدبلوماسية الدولية في الأمم المتحدة, فهل يحق لساسة البنتاغون أن يتساءلون عن مصالحهم في هذا الربيع الذي غير الأنظمة في تونس ومصر وليبيا وقليلاً في اليمن, وما زال ينتظر التغيير في سوريا؟

سوريا التي دفعت وما زالت حتى اللحظة تدفع فواتير الأيديولوجيا القومية لحزب البعث وتفريعاتها في المقاومة والممانع تجاه الغرب, كما دفعت وتدفع فواتير الأيديولوجيا الماركسية وبقايا آثار العلاقة مع موسكو تحديداً, والآن علينا أن ندفع أيضا فواتير الجهادية الإسلاموية التي تأخذنا عنوة إلى القتل الذي يدمر إنسانيتنا وصورة الإسلام السمح قبل أي شيء آخر.

ربما هو مُجرّد فيلم, مجرّد حدث جديد, لكنه خلال أسبوع كامل استطاع أن ينتزع الأولوية في نشرات الأخبار, وأن يتقدّم بذلك على عدد الشهداء في سوريا.

«كرتونة دير الزور»

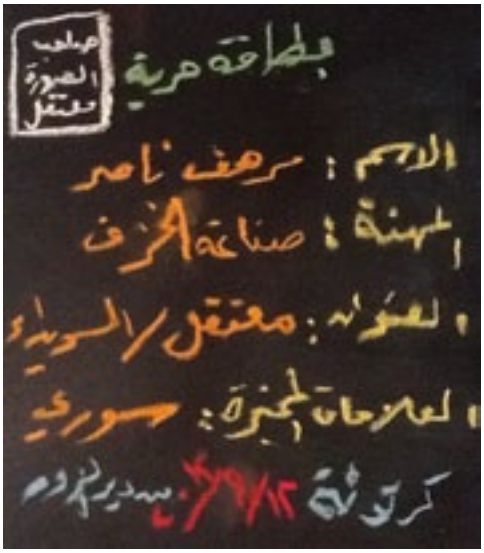

«كرتونة دير الزور» عمل شبابي, انطلق في بداية شهر آب ٢٠١٢ تحت شعار:
(نرحب بكراتينكم المرفوعة مهما احتوت من فنون شرط أن لا تدعوا للطائفية, نرحب برسوم الاطفال وندعم نشرها). في صفحة الفيس بوك الخاصة بكرتونة دير الزور نقرأ عن أخر نشاطات شباب منطقة دير الزور السلميّة, ولعلّ أبرزها صفحة «دير الزور جيوغرافيك». كما نقرأ عن المعتقلين, عن الشهداء, والمفقودين. وفي هذا السياق لا يقتصر نشاط شباب «كرتونة دير الزور» على منطقتهم وحدها, بل يمتد إلى مختلف النقاط الملتهبة في سوريا, التي يعلنون تضامنهم معها بالمشاركة المستمرة والأبرز عبر كرتونتهم. تتميّز كرتونة دير الزور, بخلفيتها السوداء التي تعيد إلى ذاكرتنا لوح المدرسة القديم وطبشورته البيضاء, وإن حملت الكرتونة عبارات عامة في كثير من الأحيان, تعبّر عن وجع شباب الدير, وعن أحلامهم, مثل صورة الكرتونة «البروفايل» للمجموعة والتي كُتبَ عليها: (+ ١٨ مدينة منكوبة, KM ١, دير الزور). إلا أنّ الأبرز يبقى هو «بطاقة حرية» التي اشتغل عليها شباب الصفحة دعماً للمعتقلين, وهي بطاقة تعرّف بالمعتقل, إذ وأمام الأعداد الكبيرة جداً من المعتقلين والمفقودين السوريين, تبرز هذه البطاقة كوسيلة تواصل ودعم للمعتقل الذي لا نعرفه. ومن الأمثلة في الصورة.
«كرتونة دير الزور» بطاقة تعرّف بشباب دير الزور, تلك المنطقة التي تعود جذورها كمحافظة وبحسب ما دلّت الآثار المُكتشفة فيها إلى الألف التاسع قبل الميلاد. من هذه الروح لمحافظة تتنوّع الديمغرافيا السكانية فيها بين الأرمن والأكراد والعرب تأتي البطاقة بهويّة ثقافيّة اجتماعية, تحتفي بالإنسان السوري أينما ما كان, كما تحتفي بأحلام الحرية, بالألوان التي تكسّر سواد الخلفيّة في البطاقة. وهي عمل شبابي مدني بامتياز, لا يحصر نفسه في أي أيديولوجيات أو افكار مُسبقة.
«كرتونة دير الزور» أطلقت يوم الثلاثاء ٢٠١٢/٩/١١: نداء استغاثة. (لم نستغث يوماً بأحد ، لم نكذب ولم نبالغ ولم نتأمل الدعم من أحد ،ولم نوارب, طالبنا بكل ما نملك من قدرات بحريتنا وحرية الآخرين, وزعنا الصور والتكبيرات والزغاريد والحكايات والكحول والشاي والبالونات والفيديوهات عن كل من أحببناهم .والآن ننتظر شباب السينما الشريفة – وندعوهم ليسكنوا قلوبنا وبيوتنا – ويوثقوا مأساتنا منذ٨١ يوم من الميغ إلى العطش.
دير الزور ثارت والآن تباد ،هي سورية وتستحق أن تزوروها وتحملوا كاميراتكم إليها، تعالوا لكي نحتضنكم في القلوب وساهموا في رفع التهميش والحصار عنا .
دير الزور تنادي كل السينمائيين الشرفاء أن يهبوا لنصرتها لا أن يبيعوا الوثائقيات عنها). **facebook**: Kartoneh-From-Deir-Eezoar

تامر العوّام .. شهيد سينمائي آخر على دروب الثورة

ياسمين دمشقي

في تعريفه عن نفسه على صفحته الخاصة على موقع فيس بوك, نقل المخرج الراحل تامر العوام عبارة: (يمكن أن أضحي بروحي من أجل أن تقول رأي قد يكون بغير صالحي ..... فولتير). وقد فعلها. ففي سياق عمله كمخرج سينمائي وناشط إعلامي في تغطية الثورة السورية دفع تامر العوام حياته من أجل غد للسوريين, غد لا يُقتل فيه السوري أو يختفي في أقبية المعتقلات إن نطق برأيٍ أو كتب كلمة تُعتبر تجاوزاً لأي من آلاف الخطوط الحمراء في سوريا.
أربع وثلاثون عاماً هي سنوات عمر المخرج السوري حامل الجنسيّة الألمانية تامر العوام الذي قضى فوق أرض حلب, بعد أن دخلها مُتسللاً عبر الحدود. مُغادراً ألمانيا حين هاجر الكثيرون, إذ لم يكتف بما قدمه من نشاط إعلامي في دعم الثورة وهو خارج البلاد, لم يكتف بالكلمات, ولم يروي ظمأه الفيلم الذي حققه بعنوان «ذكريات على الحاجز»، وهو فيلم وثائقي يستعرض حياة الأهالي في ريف إدلب، وحجم المعاناة من الحواجز التي أقامتها القوات الحكومية لتقطيع أوصال المدن، وكيف تمكن الجيش الحر من إزالة هذه الحواجز.
العوام من مواليد عام ١٩٧٧, محافظة السويداء, وعضو لجان التنسيق المحلية– تنسيقيّة السويداء, كما عرّف به زملاؤه الناشطون, تنقّل بعد دخوله سوريا في تموز الماضي بين إدلب وحلب, فبحسب ما ذكر الناشطون أصيب العوام اثناء تغطيته للأحداث نتيجة إطلاق قوات النظام للغازات السامة, وتم نقله إلى العناية المكثفة في مشفى حلب, لكن كل المحاولات لإنقاذ حياته باءت بالفشل.
تامر العوام سينمائي جديد يسقط على أرض سوريا, دفاعاً عن حلم بأن يأتي اليوم الذي يختلف فيه سوريان في الرأي ولا يعتقل أحدهما الآخر, سقط في أثناء محاولته إخبار العالم أنّ هناك شعباً يموت في سبيل أحلامه وحقوقه. تامر العوام سوف يتذكرك أبناء سوريا من السويداء إلى حلب في لحظة حريتهم.

من مفكرة وطن سوري

يُعرّف القائمون على صفحة «من مفكرة وطن سوري» فكرتهم بالتالي:
(للوطنِ أيضاً ذاكرة ... نقرأها في صحف ومذكرات السوريين السابقين ....من مفكرة وطن سوري ... لنؤكد أن سورية خلقت عظيمة ... وستبقى إلى الأبد عظيمة).
يستعيد القائمون على الصفحة وثائق «أيام زمان», صحف قديمة, صور قديمة لشخصيات وطنية, للأمكنة الدمشقية والسورية, كاريكاتيرات, وحتى صوراً لكتب قديمة, قصائد, وصوراً تخّلد لحظات هامة في تاريخ سوريا, مثل «صورة نادرة لسيدات وأعضاء المؤتمر الشرقي الأول في دمشق عام ١٩٣٠», والتي يُقارنها الشباب بصورة حديثة لزوجات الرؤساء والملوك العرب في اجتماعهم عام ٢٠٠٧. بل حتى صورة من صحيفة تتحدّث عن منتخب سوريا لكرة القدم حين هزمَ فريق بريطانيا بأربع أهداف لهدفين عام ١٩٥٣. كل صورة هي حكاية, جزء من تاريخ شعب ووطن, تجتمع مع بعضها لتشكّل هذا الإرث الثقافي الكبير من دلالات وذاكرة. ذاكرة يُعرّف بها القائمون على الصفحة عبر إرفاق شرح مع الصورة.
نقبس من التعريف الذي أرفق برسم مأخوذٍ من كتاب «المرايا»: (عندما كانت حرية التعبير مصانة في الدستور ومحمية من القانون أصدر الضاشوالي كتاب «المرايا» في العام ١٩٤٧ ، مُتضمناً ١٧٧ رسم كاريكاتوري لشخصيات سياسية سورية كانت ماتزال في مناصبها ... حمى الدستور والنظام السوري الضاشوالي فأبدع وأتحفنا بكتب رائعة كانت من نتاج عصر الحريات في سورية ... وضيّق الدستور والنظام السوري على علي فرزات وضربه وعذبه فأبدع أيضاً ... فكان إبداعه نتاج عصر القمع والظلمات ....).
المؤسف أنّ الصفحة, وعلى أهميتها, لم تلق رواجاً حتى اللحظة بين شباب سوريا «الفيسبوكي», والسؤال برسم الجميع.
رابط الصفحة:
www.facebook.com/pages/من-مفكرة-وطن-سوري/140909092718678

ترشيح الشعب السوري لنيل جائزة «نوبل» للسلام

قد يعتبر الكثيرون أنّ الحملة نتائجها معروفة مُسبقاً, بالاستناد إلى التاريخ المُسيّس للجائزة الأكثر شهرة في العالم «نوبل»– «نوبل للسلام», إلاّ انّ هذا لم يُثبّط معنويات الشباب الإلكتروني– على الأقل– والذي يقود حملة إلكترونية لتأمين عدد الأصوات الكافي لتحقيق الترشيح للجائزة. الأبرز في هذا الصدد أنّ المُرشّح لنيل «نوبل للسلام» هو الشعب السوري, وهي حالة فريدة من نوعها في تاريخ الجوائز التي غالباً ما ينالها أفراد, وفي بعض الحالات مؤسسات أو جهات.

من جهتهم أصدر القائمون على الحملة بياناً لتوضيح حملتهم, وممّا ذكروا فيه: (إن إصرار النظام اللامحدود على ممارساته البربرية والتي لم توفر الأطفال كحمزة الخطيب ولا النساء، والمجازر الجماعية بحق السكان كما حصل في الحولة، دفعت وتدفع أعدادا متزايدة من السوريين لحمل السلاح والانضمام للجيش السوري الحر.

رغم حقيقة الكفاح الذي يخوضه الجيش السوري الحر، علينا أن لا نتجاهل أشخاصا كغياث مطر الذي حرض مواطنيه على سلوك طريق النضال السلمي والذي قضى تحت التعذيب، إن غالبية السوريين لا تزال تتابع نضالها السلمي ضد هذا النظام ولاتزال ضحيته أيضاً.

لعل منح جائزة نوبل للسلام للشعب السوري في هذه الأوقات الصعبة التي يعيشها، كدليل تقدير لشجاعته وإصراره على نيل حريته، سيكون حافزاً له أيضاً على انتهاج خيار اللا عنف في مرحلة النهوض وإعادة البناء.

قد يكون من غير المسبوق أن تمنح نوبل جائزتها للسلام لشعب ما، وقد سبق وكُرِمَتْ العديد من المدن بميداليات الشرف العسكرية، فلماذا لا يكون ممكنا تكريم إرادة شعب كامل ظل صامداً في وجه الطغيان لنيل حريته.

هذا هو دور لجنة جائزة نوبل للسلام، ونحن نناشد بدورنا هذه اللجنة، وفي هذا المفترق من التاريخ، أن تضع كل نفوذها لدعم القضية النبيلة للشعب السوري).

الرابط على صفحة الفيس بوك: http://tinyurl.com/dyf4rer

توقيع استمارة الترشيح: http://tinyurl.com/cyppd9g

«أنجلينا جولي» في «مخيم الزعتري» للاجئين السوريين

يارا بدر

استفاق اللاجئون السوريون المقيمون في «مخيم الزعتري» في الأردن, والذي اشتهر لسوء الأوضاع فيه, على زيارة النجمة العالمية «أنجلينا جولي» بصفتها «سفيرة النوايا الحسنة» في الأمم المتحدة, وذلك صباح يوم الثلاثاء ٢٠١٢/٠٩/١١.

من هناك, وبحضور إعلامي كثيف يرافق النجمة التي نجحت طوال سنوات في توجيه هذا الاهتمام الإعلامي المجنون بشخصها إلى قضية أكبر هي قضية اللاجئين, من مخيم «الزعتري» قرب الحدود السورية على بعد ٨٥ كلم شمال عمان، دعت «جولي» التي رافقها في جولتها المفوّض الأعلى للاجئين في الأمم المتحدة انتونيو غوتيريس ووزير الخارجية الاردني ناصر جودة, دعت المجتمع الدولي الى (تقديم كل ما باستطاعته لدعم اللاجئين السوريين).

اللاجئون السوريون الذي كان ادريان ادواردز المتحدّث باسم المفوضية قد أعلن من جنيف أنّ عددهم قد تجاوز الربع مليون لاجئ سوري (٢٥٣ الفا و١٠٦ اشخاص) مسجلون او ينتظرون التسجيل في المنطقة), أمّا المفوضيّة العليا للاجئين في الأردن فقد أحصت٨٥ الفاً و١٩٧ لاجئاً بينهم ٣٥ الفاً و٩٦١ ينتظرون التسجيل, وأنّ اللاجئين السوريين مستمرون بالتدفق نحو الاردن بمعدل الفي لاجئ يومياً.

يُذكر أنّ هذه ليست الزيارة الأولى أو الدعم الأول الذي تقدمه «جولي» للاجئين السوريين, إذ سبق لها وأن زارتهم في مخيمات اللجوء التركية, وتبرعت كذلك بالمال. وقد أثار موقفها هذا حماساً لدى الكثير من الشباب, حتى أسسّوا صفحة على موقع الفيس بوك باسم: «أنجلينا جولي شكراً من الثورة السورية», والأسئلة تتدفق باستمرار كموجة بعد كل حركة من «جولي» للمقارنة بين نشاطها وموقفها الإنساني, وبين تخاذل الكثير من الفنانين والمثقفين السوريين والعرب, الذين سقطوا للأسف في هوّة الأيديولوجيات المُتحجّرة من جهة, ومطامع المصلحة الشخصيّة من جهة ثانية.

«جولي» التي تسلّمت منصبها عام ١٩٩٩ وتواجدت في العديد من المناطق المنكوبة, من بينها باكستان وتنزانيا وجيبوتي وغيرها من دول العالم الثالث التي تعاني أزمات إنسانية حيث زارت كذلك مخيمات اللاجئين بلبنان، وكينيا، وأفغانستان، والصومال، وباكستان، ودارفور، وسلفادور، وتنزانيا، وسيراليون, عُرف عنها نشاطها ومواكبتها للأزمات الخاصة باللاجئين حتى أنها تسافر على نفقتها الخاصة وليس بدعم الأمم المتحدة المالي, كما وتتبرع من حسابها الشخصي وقد تبرّعت إلى اللاجئين السوريين بهدف تحسين أوضاعهم السيئة جداً بمبلغ ٧٠٠ ألف دولار. فشكراً أنجلينا جولي من الثورة السورية ومن الشعب السوري.